التقابل الدلالي في سورة يوسف

دراســة في ضـوء منهج التحليـل اللغـوي

م. د ضمير لفتة حسين البدراني

جامعة البصرة / كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد الأمي وآله الطيبين الطاهرين ، إنّ من مقتضيات هذه النشأة الأخيرة في عالم التكوين (نشأة الدنيا) أن تكون الموجودات في حال من الاختلاف والتنوع ؛ بسبب كثافة هذا العالم ، وضيق مساحته من الوجود.

في التمييز بين هذه الأشياء المنوّعة ، إذ لولا نقاط الاختلاف فيها لما أمكن التمييز بينها ، فنحن نتوصل عادة إلى معرفة الاشياء عبر العلامات الفارقة بينها .

وهذا الاختلاف يتنوع بحسب حيثياته ونسبته ، فمنه ما يعود إلى الشكل ومنه ما يعود إلى المضمون ؛ لذلك نجد أن التقابل قانون سار في الكون في أغلب الموجودات ، فلا يمكن الإحاطة التامة بقيمة الشيء إلا عبر الإحاطة بما يقابله في وجوده أو في حيثية ما من حيثياته.

ومن المؤكد أن معرفة الشيء وتحديد ما يقابله ليس بالأمر الهين ، بل هو فن بحاجة إلى مِراس ودِربة ، ثم هو بحاجة إلى معرفة الشخص بخصوصيات تلك الأشياء التي يقابل بينها ، ولابد من الإشارة إلى أن الثنائية هذه قد سرت في الطبيعة حتى مثَّلت قانونا طبيعيا يحكم كثيرا من حركة الموجودات سواء كانت في أحوال الجذب أم التنافر .

فمن المؤكد أن للثنائية التقابلية بين الليل والنهار أثرا كبيرا في ضبط حركة الكائنات الحيّة ، ومثل ذلك الثنائية التقابلية بين الحرارة والبرودة وثنائيتي الاتجاهات الأربعة ، وغير ذلك كثير من الثنائيات الضدية التي يشكّل تواليها

إيقاعا يضبط حركة الخلائق والكون بصورة عامة فيعطيها جمالية تبعد متلقيها عن الملل والرتابة ، بل تخلق استمرارية التوالي في هذه المتقابلات صورا وحركة إبداعية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

وفي النص الأدبي بوجه عامة ، ونص القرآن الكريم على وجه خاص نجد إن التقابلات تُعطي للنص انفتاحا ، وثراءً ، وتماسكا ، فمفهوم التقابل بكونه أسلوبا نقديا بلاغيا لغويا يرتبط بمنهج التحليل الجمالي ، وهو يتحرّر من النزوع الجمالي الغربي الذي تحكّم بالأذواق بشكل مطلق دون أن يتنكّر لمفاهيمه الجمالية كلها ، فالجمال في النص القرآني يرتقي إلى المثل الأعلى المنفتح على الإنسان والكون والحياة والتراث والمصير والمعرفة في الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن ثَم فإنّ جمالية القرآن لا تعترف بجنس ولا لون؛ لأنّها تضع الإنسان أيّا كان في كل ما هو مطلق في الوقت الذي تحافظ لديه على أخصّ ما هو خاص من تجاربه ومعارفه أيّا كان شكلها وهدفها ومضمونها ، فالباحث في جمالية النص القرآني لا يمكنه أن يعزل كل ما هو يومي عن الحياة العامة ، ولا كل ما كل ما هو معاصر عمّا هو قديم.

إنَّ النص القرآني نص جمالي يخاطب الروح والعقل معاً ، ويقوم على وحدة الأجزاء بين عناصر علم الجمال بما فيها الخير(الأخلاق) والحق ، لهذا فإنّه حين يعالج المضمون إنّما ينفتح على كل تجربة ثقافية واجتماعية وذاتية ودينية وخلقية قديمة ومعاصرة في صميم وعي التصورات الموضوعية والذاتية والفنية وهذا الذي يحقق له جمالية فريدة .

فجمالية النص القرآني تحملنا من جهة الوظائف والأهداف إلى رحاب أثيرية وفضاءات لا نظير لها في الإمتاع والفائدة لتؤكّد مهمّاتها العظيمة التي تحقّقها على مرّ الأجيال في الوقت الذي تتطابق مع ماهية فلسفة علم الجمال وروحه.

فليس التقابل مجرّد مجالات لغوية تركيبية متعالقة في ظلّ التضاد أو التشاكل ، فهو لا يركّز على جماليات النص فحسب ، بل هو بنية لغوية بلاغية فنية تقابلية وآلية نقد تنبثق من أسس النص وتغيّرات النسق السياقيّة على وفق تصور المبدع والمتلقي .

ولأهمية هذا الموضوع تخصّص هذا البحث في دراسة مظاهر التقابل في القرآن الكريم متّخذا من سورة يوسف أنموذجا للدراسة ، فانقسم على مباحث ثلاثة وتمهيد سبقته مقدمة ، ثُم ذُيّل البحث بخاتمة تبعتها قائمة بالهوامش وأخرى بالمصادر التي ورد ذكرها في طيات البحث .

المبحث الأول: التقابل تعريفاته وأنماطه.

١-التقابل في اللغة :

أصل التقابل والمقابلة في اللغة المواجهة قال أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ): ((يقال لقيت فلانا قِبَلاً وقَبَلاً وقُبُلاً وقَبَلِياً وقَبلاً وكلُّه واحد وهو المواجهة)) (١).

ومن معاني التقابل والمقابلة بين الناس في اللغة ((أن يُقبَل بَعضُهم على بعض إمّا بالذات وإما بالعناية والتوفر والمودّة قال تعالى: (مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) (الواقعة ١٦)، وقال (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) (الحجر٤٧). (٢)

والمقابلة في ضد المدابرة يقال: ((رجلٌ مُقابِلٌ ومُدابِرٌ: إذا كان كريم الطرفين من أبيه وأمه)) ، (٣)

و((المُقابلَةُ والتَقابُلُ واحد وهو قبَلُكَ وقبالتُكَ أي تجاهك)).(٤)

ويعني التقابل في اللغة فيما يعني التعادل إذ يقال : ((وزنه :عادَلَهُ وقابلَهُ وحاذاه)) (٥) وعلى هذا فالتقابل في المكان و الموقف هو الأصل المعنوي للتقابل الدلالي الذي نشأ في الاصطلاح بعد ذلك.

٢-التقابل في الاصطلاح :

عبَّر عن التقابل في التراث قبل ظهور المصطلحات المنطقية والكلامية واللغوية كما عبَّر بعدا . بعدة ألفاظ تنضوي جميعا . غالبا . تحت مفهومه ، إذ يستعمل التقابل اصطلاحا ليشمل كل أشكال التناقض والتضاد بل والاختلاف – أيضا– فقد استعمل في مصادر قديمة بمفهومه الدال على التضاد سواء أكان تقابلا في المفردات أم في المركبات والأساليب ، وقد نبّه غير واحد من قدامى اللغويين والمفسرين والمتكلمين على ذلك.

التقابل عند اللغويين :

ذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) التقابل في (باب اللفظ للمعاني) بقوله : ((اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظيين والمعنى واحد واتفاق اللفظيين واختلاف المعنيين....)) (٦) وذكره الأنباري (ت ٣٢٨هـ) في وصفه الكلام العربي : ((واكثر كلامهم يأتي على ضربين أخريين : أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين كقولك : الرجل والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به)) (٧)

وذكره أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) بقوله : ((الأضداد جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف وضد الجهل العلم)).(٨)

وقال عنه المبرد في باب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) : ((إن من كلام العرب اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...))(٩)

ان هذا التصنيف على اساس ثنائية اللفظ والمعنى تبويبا لمفردات اللغة وتقسيما علائقيا للألفاظ والمعاني ، ومن هنا نقول ان التقابل الذي نعنيه يندرج تحت القسم : (اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين) ، ويعد ها التقسيم بالنسبة لنا مدخلا الى الظاهرة بما يؤكد انتماءها للغة وإنما ليست امرا طارئا عليها)) (١٠).

والمتكلمين كالراغب الاصفهاني (ت٤٠٢هـ) وابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وجار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فالتقابل عندهم أن يضاد لفظ لفاً آخر أو يناقضه أو يغايره بالمخالفة .

واستعمل الراغب هذه الالفاظ في معجمه فقال في موضع: ((والارسال يقابل الامساك)) (١١) وقال في موضع ثان: ((خلف ضد قُدّام)) (١٢)

وفي موضع ثالث ((الدخول نقيض الخروج)) (١٣)

وفي موضع رابع قال : ((دبر الشيء خلاف القبل)) (١٤)

وتلاه ذلك معاصره أبو جعفر الطوسي إذ التفت إلى التقابل الافرادي والتركيبي في المواقف والمشاهد والصور كتقابل السماء والارض في قوله تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢٢) فقال : ((وانما قابل بين البناء وبين الفراش لامرين : أحدهما : ما حكاه أبو زيد ، أن بنيان البيت: سماؤه وهو أعلاه ، وكذلك بناؤه ...والثاني : أن سماء لما كان قد يكون بناء وغير بناء إذا كان من شَعر أو وبر أو غيره قيل جعلها بناء على العبرة برفعها ، وكانت المقابلة في الارض والبناء باحكام هذه بالفرش وتلك بالبناء)) (١٥) فهذا ما لاحظ من تقابل المفردات .

أما التفاته الى تقابل التركيب والاساليب فيتجلى في تفريقه بين المزاوجة والمقابلة

إذ قال : ((المقابلة نحو قوله : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) (٢٢ – ٢٥ القيامة) .

وفي موضع آخر حمل المطابقة وهي لون من التقابل على ضرب من التناسق النحو بين السؤال والجواب ، فقال : ((المطابقة نحو قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤))النحل ، بالنصب على مطابقة الجواب للسؤال)) (١٦)

والتقابل نوعان : لفظي ومعنوي وقد أشار الى الثاني الزمخشري ووصفه بانه معنوي ، وهو مقابلة معنى باخر ، أما الثاني فهو ان يقابل لفظ بلفظ اخر مضادا له او نقيضا كمقابلة الحق بالباطل ، والعز بالذل والموت بالحياة .(١٧)

ويلحظ ان التقابل قد يكون مباشرا او غير مباشر وذلك باستعمال لفظ له وشيجة باللفظ الآخر وقد سماه ي واحد من الباحثين معنويا ومن أمثلة مقابلة (الوهن) بـ(العلو) في قوله تعالى (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (ال عمران139) ؛ لما بينهما من وشيجة .

وقد نبه على هذا النوع من التقابل البلاغيون أمثال ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) . (١٨). والزركشي (ت ٥٣٨هـ) (١٩) والعلوي ، (٢٠) وغيرهم واطلقوا عليه عدة تسميات مثل الطباق المعنوي أو ير المحض او الملحق بالطباق أو مقابلة الخلافين.

التقابل عند البلاغيين :

لو تتبعنا مصطلح التقابل في الدراسات البلاغية ، لوجدنا أن البلاغيين قد بحثوه وأفاضوا فيه ضمن ما سمّوه بالطباق والمقابلة لذا لم يسع بحثنا الخوض في موضوع أشبع بحثاً ودرساً بل سنكتفي بذكر نبذة موجة عنه .

لقد استقر البلاغيون على تعريف الطباق بانه الجمع بين متضادين اي بيين معنيين متقابلين في الجملة كالليل والنهار والاسود والابيض.(٢١)

ويسمى الطباق أيضا :المطابقة ، والتطبيق ، والتضاد ، والتكافؤ.(٢٢).

اما المقابلة فهي : ان يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب . والمراد بالتوافق هو ما كان خلاف التقابل .(٢٣)

وقد ذكروا في التفريق بين الطباق والمقابلة أمرين: الاول : أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها وهي المختلفات .

الثاني: أنه لا يكون إلا بين الضدين غالبا والمقابلة تكون لأكثر من ذلك . وقد آثر ابن الاثير الجزري تسمية الطباق المقابلة فقال : ((الاليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع (المقابلة) لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين : إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده)) (٢٤) وتبعه في ذلك العلوي بقوله : ((من الاجود تلقيبه بالمقابلة ، لان الضدين يتقابلان كالسواد والبياض والحركة والسكون وغير ذلك من الاضداد ، ومن غير حاجة إلى تلقيبه بالطباق والمطابقة لانهما يشعران بالتماثل بدليل قوله تعالى : (سبع سموات طباقا) الملك ٣)) (٢٥) أي متماثلات فأدخل في تعليل هذا الاستعباد المعنى الاخر للطباق أي المبني على الدلالة اللغوية وهو التوافق وهو معنى ذهب اليه أكثر من واحد من القدامى كالطوسي وقد مرّ كلامه والزمخشري .

وبهذا يلغي كل من ابن الاثير والعلوي مصطلح (الطباق) ويبقيان مصطلح (المقابلة) وهو الاجدى والاحسن لسببين: الاول التخلص من تعدد المصطلحات ذات المفهوم الواحد .

الثاني : لئلا يكون بين (الطباق) لغة و(الطباق) اصطلاحا تضاد لان الطباق في اللغة يعني (المساواة) وقد جاء في اللسان ((طابقه مطابقة وطباقا وتطابق الشيئان : تساويا ، والمطابقة : الموافقة ، والتطابق الاتفاق وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحدٍ....)) (٢٦) وقد قسم البلاغيون المقابلة على أنواع منها:

أ . أن يأتي بالفظ الحقيقة كما جاء في قوله: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) النجم٤٣و ٤٤).

ب . أن يأتي بألفاظ المجاز كقوله: (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (الانعام ١٢٢) أي ضالا فهديناه .

ج . مقابلة السلب بعد الايجاب : وهي التي تحصل بين ايجاب الشيء ونفيه كقوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) (الزمر ٩).

د . ايهام التضاد : وهو ما يمكن التقابل فيه بين الظاهر من مفهوم اللفظين كقول دعبل :

لا تعجبي يا سلمُ من رجل ضحكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة المشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم بالمقابلة .

هـ . الملحق بالمقابلة : وهو المسمى (الخفي) أيضا كقوله تعالى : ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ....)) (الفتح ٢٩) فقابل الاشداء بالرحماء ، لان الرحمة فيها معنى اللين ومقابلة الشيء بمثله، ومنها مقابلة اللفظ دون المعنى كقوله تعالى : ((وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)) (النمل ٥٠) فقابل مكرهم بمكر الله تعالى الذي هو مجازاتهم على مكرهم . وهذا ما يعده البلاغيون من ضروب الازدواج كإسناد المخادعة إليه سبحانه في قوله تعالى : ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)) (النساء ١٤٢) أي مجازيهم على خداعهم .

والظاهر ان البلاغيين قد بالغوا في التقسيمات والتعاريف وإيراد الامثلة لهذا الفن البديعي ونسوا الوظيفة الدلالية الفاعلية التي يؤديها التقابل من حيث أنه أسلوب يخدم الدلالة بكل معانيها وسياقاتها الاسلوبية .

ولما كانت المقابلة تقوم على عنصر التضاد بين الالفاظ المتقابلة فقد قسموا التقابل إلى أربعة أنواع هي:[٢٧]

١. التقابل على طريق المضاف : وهو الشيء الذي يقابل بالقياس إلى غيره كالضعف بالقياس لى نصفه والاب إلى ابنه والمولى إلى عبده .

٢. التقابل على طريق التضاد : مثل الابيض والاسود والخير والشر

٣. التقابل على طريق العدم والملكة : كالأعمى والبصير والامرد وذي اللحية .

٤. التقابل على طريق النفي والاثبات : كأن يقال: زيد جالس يد ليس بجالس .

ويبدو أن هذه التقسيمات والتفريعات وردت إليهم من مباحث الفلسفة والمنطق. (٢٨)

وقد لاحظ البلاغيون أيضا ان المقابلة قد تكون أحادية وذلك بمقابلة واحد بواحد ووصفت بانها قليلة جدا كمقابلة السنة بالنوم ، وقد تكون ثنائية بمقابلة اثنين باثنين كقوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا) (التوبة ٨٢) أو ثلاثية بمقابلة ثلاثة بثلاثة كقول الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

١-أو رباعية بمقابلة أربعة بأربعة كقوله تعالى : ((فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)) (الليل ٧-١٠)

٢وقد يكون التقابل خماسيا أو سداسيا وقد تصل المقابلة الى الجمع بين عشرة أضداد. (٢٩)

التقابل عند المناطقة :

إن مفهوم المتقابلان لدى المناطقة كما أورده علي بن محمد بن عل الجرجاني المعروف بـ ((السيد الشريف)) ((هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة)) (٣٠) .

وقسموا التقابل على أربعة أقسام هي :

١. تقابل التناقض : وهو اختلاف المفردين بالسلب والإيجاب بحيث يقتضي لذاته حمل أحدهما على حمل الآخر. (٣١)

مثل : أبيض . لا أبيض ، إنسان . لا إنسان وليس هذا النوع من التقابل وسط ، فعندما نقو أسود . لا أسود فهو إما أسود أو لا أسود ولهذا عده الفلاسفة أكمل أنواع التقابل .

٢. تقابل التضاد : وذلك حين يكون كل من المفردين على طريق مضاد فبينهما بُعد كامل وخلاف كامل بحيث لا يتصور اجتماعهما كالأبيض والاسود والاول والاخر. ولكن يوجد بينهما وسط .

٣. تقابل التضايف : ويضم الاسماء التي تتضمن موضوعا آخر بجانب الموضوع الذي تشير اليه بحيث لا يمكن وجود أحدهما دون وجود الاخر كالأبوة والبنوة والعلة والمعلول والفوق والتحت.

٤. تقابل العدم والملكة : كالذي بين الحركة والسكون والعمى والبصر والعلم والجهل فذلك الواحد إن حضر أوجب الملكة ، وإن غاب أو عدم أوجب العدم فعلة السكون هو عدم الحركة .

إن من اللغويين من أخذ عن المناطقة كثيرا من حدود مصطلحاتهم في هذا المجال على نحو تفريق أبي هلال العسكري بين اللفظين المختلفين واللفظين المتضادين تفريقا دقيقا.(٣٢)

ويلحظ أن التقابل قد يكون مباشرا أو غير مباشر وذلك باستعمال لفظ له وشيجة باللفظ الآخر وقد سماه غير واحد من الباحثين معنويا ومن أمثلته مقابلة (الوهن) بـ (العلو) في قوله تعالى (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران ١٣٩)، إذ كان المتبادر أن قابل الوهن بالقوة ، ولكنه عدل عنها إلى العلو لما بينهما من وشيجة إذ العالي متمكن قوي ومثله ما بين (حج) و(كفر) في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (آل عمران٩٧)

المبحث الثاني التقابل التركيبي :

لقد تضمنت السورة المباركة ألوانا من التقابل الدلالي الذي جاء في سياق التركيب الواحد ، فشكلت هذه التقابلات بؤرا تتجمع فيها موجّهات دلالة النص ، وأعطته طابعا خاصا في نمط البناء(فالتقابل ليس مجرد دوائر لغوية تركيبية منسقة في ظل التضاد أو التشاكل، ومن ثم ليس مجرد دوائر تختزل جماليات النص وتحوله إلى أشكال فنية ... بل هو بنية لغوية بلاغية فنية تقابلية وآلية نقد تنبثق من عناصر النص وتحولاتها النسقية السياقية وفق رؤى المبدع والمتلقي من جهة ما يوحيه بشعور الروعة والسمو والفخامة للباطن والظاهر) (٣٣)، ويمكننا أن نحصر هذه الأشكال من التقابل فيما يأتي:

أ . التقابل الاسمي ب . التقابل الفعلي .

أ. التقابل الاسمي :

من الثابت في ميدان اللغة أن الاسم يدل على المسمّى دون احتمال الزمن والحدث وفي الغالب تدل هذه الاسماء على ذوات الاشخاص غير مأخوذة بحيثية أو وصف من أوصاف أولئك الأشخاص خلافا للكنى والألقاب والأوصاف التي تطلق عليهم ويعرفون بها (٣٤)

وبناء على ذلك فاذا ما تقابلت الاسماء في سياق متقابل فإنها ستحمل دلالات على قيام تلك الذوات أمام بعضها في حال من التقابل والاختلاف ، وهذا التقابل في الاسم لا ينطلق – في الأغلب – من نقاط الافتراق في الشكل أو المظهر، وإنما تتعلق بالأفعال والمواقف والاعتقاد فهي ميدان واسع لتباين الأشخاص.

ومما ورد في هذه السورة المباركة على نحو التقابل الاسمي في قوله تعالى: ((إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ....)) (يوسف ٤).

فقد قابلت الآية المباركة بين اسمين بارزين هما الشمس والقمر(٣٥) فمن المؤكد أن الشمس لا تجتمع مع القمر ، واذا ما ظهرت الشمس فينعدم أثر القمر إن بان خياله للناظر ، وإذا ما بزغ القمر في كبد السماء وشع ضوؤها لتترك الفضاء للقمر ليزين بنوره جوَّ السماء ، إلا أن هذا السياق الحالم جمع وبين هذين المتقابلين في حالة من التساوق، فقد جمعهما فعل واحد فعل السجود ، وهذا من بديع اسلوب القران الكريم، وقد ورد مثل هذا الاستعمال كثيرا في آياته المباركة فقد ورد في سياق الايجاب والتساوق بين المتقابلين(٣٦) قوله تعالى : (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(التغابن١) .

ومن المؤكد أن جمع المتقابلين في سياق واحد على فعل واحد فيه تشكيل لصورة إبداعية تَعرض أمام المتلقي مفهوماً جديداً لم يكن في معجم مفاهيمه ومعلوماته ، ثم هي تقود الذهن إلى تقابل صورة مركبة لم يكن الذهن

ليتصورها من تلقائه نفسه ، فصورة الشمس التي تجاور القمر ثم في فعل ليس من شأنهما وهو فعل السجود كل ذلك لم يكن من صنع ذهن أي من البشر ولم يكن مألوفاً عند أي واحد منهم.

ومما يؤكد ذلك أن الآية عمدت إلى تكرار الفعل(رأيت) فقد قالت:(إني رأيت ... رأيتهم) وهذا فيه محاولة إلى إقناع المتلقي، فالأمر خطير والصورة من التعقيد والضخامة ما يصعب على ذهن المتلقي تصورها وتركيب أجزائها،مما احوج النص إلى ايراد هذا الفعل على شكل توكيد لفظي للفعل المتقدم الذي هو من سنخه أو أنه استأنفاً لكلام جديد جاء جوابا عن سؤال الاب كيف رأيتهم فقال:رايتهم لي ساجدين (٣٧) .

وفي هذا الفعل– أيضا – تبرز حالة الشعور بإحاطة الرائي لهذه المرئيات (الشمس القمر الكواكب) فتأكيد رؤيتها يلزم منه التوكيد على الاحاطة بها في صورة المشهد المرأي ، وهو بمثابة ضغط على ذهن المتلقي إلى تصور هذا المشهد وعدم النفور منه ولو كان الامر عسيراً في بادئ الامر.

سبع بقرات سمان / وسبع بقرات عجاف

ومن التقابلات الأسمائية التي تضمنتها السورة في قوله تعالى : (﴿وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (يوسف:٤٣)

فقد قابل بين البقرات السمان والبقرات العجاف مع توحيد عددهن إلا أن الغريب في الصورة ارتباط المتقابلين في فعل غير متوقع فقد قال(يأكلهن) فهو بؤرة الغرابة في الصورة إذ مما لا يؤلف في الخارج أن يأكل البقر من جنسه .

ومما يلحظ على هذا التقابل أنه جاء ثلاثيا ، أي أنّه قابل بين ثلاثة أشياء ، فمن جهة جاءت (سبع)(بقرات)(سمان) ، ومن الجهة المقابلة جاءت (سبع)(بقرات)(عجاف) ، فكلّ جهة من طرفي التقابل شكلت صورة منعزلة متقابلة مع الصورة الأخرى ، وعقد السياق نوعا من المقارنة بينهما ، وجاءت الصورة الثانية مطابقة للصورة الأولى إلا في فرق واحد هو (السمان والعجاف) أي في جزء بسيط من الصورة (٣٨)

ولوعدنا إلى الفعل الرابط بين جهتي التقابل لوجدناه يمثل حالة الغلبة وانتفاء حالة التقابل إذ يعني الأكل فناء المأكول في الآكل ، وإذا ما فُني طرف من المتقابلين انتهت المقابلة من أصلها ، وهذا ما سيوقف ذهن المتلقي عن تصور الحركة ، فطبيعة الأكل فعل تام منقطع يقف عند زمن معين ، وهو ليس من الأفعال المستمرة التي تعطي الخيال فسحة طويلة لتصور حدوثه .

وهذا التوقف يحيل الذهن إلى المشهد اللاحق (مشهد السنبلات) الذي سيشكل أفقا مفتوحا أمام المتلقي .

(...وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ...) (يوسف ٤٦)

وأما في هذه الحالة من التقابل فتنعقد حالة مشابهة مقاربة لها من التقابل فقد قابل سياق القصة بين (سبع سنبلات خضر) و(سبع سنبلات يابسات) ، والملاحظ على هذه الحلقة من التقابل انها قابلت بين العدد والجنس الذي قابلت به الا انها اضافت اليه صفة اللون فقد قابلت بين اللون الاخضر والذي يلازم فيه ان تكون هذه السنبلات في الفترة التي تسبق فترة النضج والحصاد ، وجاء مقابلها وصف السنبلات بانهن يابسات ، وبطبيعة هذا اللفظ انه يدل على ان هذه السنبلات اما انها نضجت وبلغت موسم الحصاد أو أنها يابسة أي أنها خاوية ، فكان اللون الملائم للتقابل أن يقول صفراوات إلا أن السياق ركز على طبيعة السنابل وليس على مجرد لونها فهذا التقابل سحب ذهن المتلقي الى الاقتراب مما تدل عليه هذه السنبلات في عالم الظاهر والدنيا فلا ننسى ان هذا السياق هو سياق حلم ورؤيا ولابد من تحضير ذهن المتلقي للعودة إلى السياق الخارجي ، ولا يكون لائقا أن يستغرق المتلقي في جو الحلم ثم إذا ما أراد العودة مع السياق إلى واقع القصة ثم محاولة ايجاد تفسير منطقي عقلائي لهذه الرؤيا ومقابلتها بأحداث الواقع فانه سيحدث له ذلك انعطافا شديدا ربما يفوت عليه حالة التماسك في سياق النص ، وحدوث حالة الانفصال بين السياق الداخلي والسياق الخارجي (٣٩)

ومن الجدير بالذكر الاشارة الى ان هذه الدائرة من التقابل لم تجمع المتقابلين في حال من الاحوال كما فعلت في الدائرة السابقة إذ جمعت بينهما على فعل واحد هو (يأكل) فهو حلقة ربط ووصل بين الطرف الاول من المقابلة والطرف الثاني منها.

أما في هذه الدائرة فقد أقامت الآية المباركة المتقابلين وجسدت المشهد مترتبا متكونا من ثلاثة متقابلات إذ قالت: (سبع سنبلات خضر) ، وكان المتوقع أن تذكر بعد ذلك لفظ السنبلات وتكرر ذكر لفظ العدد ثم تجلب صفة أخرى (لون) مميز لهذه السنبلات الا انها كسرت افق التوقع باختصار جهة التقابل بالقول : (وأخر يابسات) (٤٠)

وكما قلنا إن في هذا الاختصار والخلوص إلى فكرة الجهة الثانية من التقابل فيه سحب تدريجي لذهن المتلقي إلى الخروج من جو الحلم الى جو القصة العام ، ليتحضر إلى التواصل مع الاحداث القادمة ، وما حقق ذلك أن هذا الكلام انقطع ليتغير الخطاب إلى خطاب ملك صارم في قوله (...أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ...) (يوسف ٤٦) فكان هذا الخطاب كفيلا بأن يوقظ القارئ (المتلقي) من الانغماس في تصور الحلم والغياب عن الأحداث فشكلت بذلك نقطة انعطاف الاحداث وحركتها وصعود نحو سطح أرض القصة(٤١)

(سبع سنين زراعة – سبع سنين شداد)

في هذه الدائرة من التقابل نجد أن المتقابلين يتفقان في العدد ويختلفان في الصفة فقد جاء العدد (سبعة) في طرفي التقابل ولكن نقطة الاختلاف جاءت في صفة هذه السنوات السبع فقد جاءت الاولى تحمل دلالة النعيم والبركة والوفرة فقد قالت الآية: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ....) (يوسف٤٧)

فقد المح لفظ (دئبا) الى صفة مميزة لهذه السنوات وهي الزراعة المستمرة ليدل على وفرة الخير والبركة ثم قابل بين صفة كل من هذه السنوات السبع فقد قال : (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ..) (يوسف ٤٨) فحذف لفظ سنين التي وردت في الجهة المقابل لها واكتفى بذكر عددهن ووصفتهن بانهن شداد وفي هذا صرف لذهن المتلقي من الاستغراق في تصور المدة فقط وأنها سبع سنوات وذهب بهه الى تصور ان هذه السنوات تتصف بالشدة بسبب قلة الزرع أو انعدامه وحلول القحط .

ولم يتوقف عند هذا الحد بل قاد ذهن المتلقي إلى إكمال صورة هذه السنوات الشداد عبر وصفهن بانهن (يأكلن ما قدمتم لهن) فاستعار لفظ (يأكلن) وهي لازم من لوازم الاشداء ، فكثرة الاكل دليل درجة شدة هذه السنوات مع ملاحظة أنه جعل المفعول به اسماً موصولاً(ما) وهو دليل على الشمول ((والكلام يشتمل على تمثل لطيف كأن هذه السنين سباع ضارية تكر على الناس لافتراسهم وأكلهم فيقدمون إليها ما ادخروا عندهم من الطعام فتأكله وتنصرف عنهم)) (٤٢)

وفي ذلك إيماء أن هذه السنوات الشداد التي ستأتي على كل ما ادخر من محاصيل في السنوات السبع الاولى ولم يترك فسحة الى تصور سهولة الامر أو أنها سنوات قلة الخيرات من النوع المعتاد عليه فقد بالغ سياق الآية في توصيف هذه السنوات بالشدة (٤٣) .

ب . التقابل الأفعالي :

من المؤكد أنّ لكلّ فعل في الخارج قيمة وحكما شرعيا وعقلياً وذوقياً ، ثم لابد أن يكون لهذا الفعل ما يقابله من الافعال ويساويه في القوة ويعاكسه في الاتجاه وبين هذين الفعلين تقترب افعال كثيرة من كل واحد منهما غما بالمغايرة أو الترادف والتقارب ولنأخذ مثلا الفعل الفعل الذي نطلق عليه صفة الفعل الشجاع نجد انه يقف أمام فعل آخر يقابله تماما فعل الجبان ، الذي يكون حاله من التفريط في السيطرة على قوى النفس الباطنة لغلبة النفس على قوة العقل .

وقد صنّف علماء اللغة أنواع التقابل إلى عدّة أصناف هي :

١. تقابل بالتضاد ٢. تقابل بالنفي ٣. تقابل الملكة والعدم

وهناك تصنيف آخر : ١ . تقابل باللفظ ٢. تقابل بالمعنى .

ولقد وردت ثلاث شواهد من التركيب الافعالي :

١. في قوله تعالى : (اقتلوا يوسف ...لاتقتلوا يوسف) .

لقد قابل تمام المقابلة بين الجملة الاولى التي جاءت بسياق فعل الامر والجملة الثانية التي جاءت بسياق النهي عن هذا الفعل بعينه ، ومن المؤكد أن الامر بالفعل يتقابل تماماً في اللغة مع النهي عنه.

ومن الغريب في هذا التقابل عدم بيان الآية جهة صدور الامر في حين انها حددت جهة صدور النهي فضلا عن تحديدها جهة المتكلم في السياق السابق لهذا الامر فقد جاء تسلسل الاقوال في الآيات ، ففي الآية (٨) ابتدأت بقوله تعالى: (إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ...) أما في الآية التالية (٩) فلم يعلن من القائل وانما بدأت الآية بقوله تعالى (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) ثم عادت الآية (١٠) لتحدد من المتكلم: (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ).

فنجد سياق الآية قد عتم على شخص الآمر بقتل يوسف ومن هو صاحب فكرة القتل في حين انه أكد أن صاحب فكرة إلقاء يوسف في الجب كان من بين إخوة يوسف فقد قالت الآية (قال قائل منهم ..)أي من إخوته ، وخفاء هذا المتكلم المجرم ، والعقل المدبر للجريمة والآمر بالشر يجرنا إلى عدة أوجه من الفهم ، وفيه عِبر جلية نقف عند بعضها :

١. إن سياق الآية المتقدم على هذه الآية يوحي أن في دائرة الحديث قطبان هما إخوة يوسف من جهة ويوسف من جهة أخرى .

٢. إن سياق الآية السابقة يوحي أن تداول هذا الحديث كان بين إخوة يوسف فقط إذ قالت الآية (إذ قالوا ..) بعد تقريرها ان الدائرة الكلامية بين يوسف وإخوته ، وهذا يعني أن القائلين هم إخوة يوسف حصرا

٣. تأسيسا على ما تقدم نستطيع أن نحدد أن المتكلم لم يخرج عن دائرة إخوة يوسف .

٤. وربما يكون إخفاء شخص القائل يعود إلى أدب قرآني مفاده أن يذكر أن إخوة يوسف قرروا قتله(٤٤) .

٥. وربما يكون المتكلم شخصا آخر خارج دائرة الاخوة وقد دخل على مسرح القصة بصورة مفاجئة ولم يعرّف به القاص ولم يقدم لنا وصفا له.

ويأتي السؤال هنا من يكون هذا الشخص؟ وما سر خفائه؟

مع ملاحظة أنه لم يأت ذكر له بعد ذلك او أية إشارة في السياق اللاحق من القصة .

والذي يُحتمل في حقيقة هذا الشخص رأيان :

الرأي الأول : أنه من أفراد اسرة النبي يعقوب ولكن خارج دائرة الاخوة كان يكون الشخص إحدى زوجات النبي يعقوب ع أو بعض أقاربه وانما اخفي هذا العنوان رعاية للستر وحفاظاً على مقام النبي يعقوب ع ، فلم يشر إلى أن من أمر بالقتل هي إحدى زوجاته .

ويرد اعتراض على هذا الرأي ان القرآن الكريم ذكر الزوجات الطالحات اللواتي كن تحت رعاية الانبياء السابقين على النبي يعقوب مثل زوجة نوح ع وزوجة لوط ع.

الرأي الثاني : أن هذا المتكلم الخفي الذي يظهر بلا عنوان وبلا استئذان هو الشيطان الرجيم ، وقد رسمه القرآن الكريم في حال من المفاجئة والدخول على مسرح المشهد وإزاحة الستار قليلا ثم الايحاء الى اخوة يوسف بمراحل الجريمة وطرق الوصول إليها وبيان النتائج التي ستترتب عليها إذ قال : (يخل لكم وجه ابيكم) ثم زاد في أمنياتهم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) أي منّاهم بالتوبة وإمكان الصلاح بعد قيامهم بهذه الجريمة .

وما يؤكد الراي الثاني أنه قال: (لكم) و(وجه أبيكم) (تكونوا) ، أي أن المتكلم خارج دائرة إخوة يوسف فلو كان منهم لقال (لنا) (ابينا) (نكون) كما ورد ذلك في الآية (٨) إذ قال قائلهم: (أحب إلى أبينا منا). وهو خارج عن دائرة القرابة من النبي يعقوب ع إذ لم يذكره بصلته به أيضا.

٢ . (قد من قبل) (قد من دبر)

القد في اللغة قص الشي من الطول والقطع قصه من جهة العرض .

الفرق بين القط والقد(٤): القد: قطع الشيء طولا، والقط: قطعه عرضا، وفي وصف ضربات علي: " كان إذا اعتلى قد، وإذا اعترض قط ".ومنه قط القلم، وهو قطع طرفه.(٤٥)

وقد قابل القران الكريم بين حالتين من القد هما القد من القبل والقد من الدبر، والقبل هو ما قابلك اما الدبر فهو عقب كل شيء يسمى دبرا وهو من الادبار ، اذ كانت هذه المقابلة بين وجهين ممكني لحدث قصة قصيرة حدثت بين زوجة العزيز وبطل القصة (يوسف) ، وانتهت بوقوف العزيز على نهاية القصة وطلب منها سرد احداثها

باختصار وايجاز ، فكان جواب زوجته (ما جزاء من اراد بأهلك سوءا). وهي عبارة حوت دلالات تبرئتها نفسها واتهامها يوسف بالاعتداء عليها .

ثم قابلها قول من يوسف بأنها (راودتني عن نفسي) فكان كلا القولين من مقربين موثقين عند عزيز مصر فتحير يأخذ بأي القولين ، وكان لابد أن يكون هناك شاهد أو برهان يرجح أحد القولين ويفند الاخر ويعطله ، وسرعان ما يدخل على المشهد طرف جديد لم يكن في حساب أحد ولم يعرف به القرآن الكريم إلا أنه سماه (شاهدا) بقوله (...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (يوسف ٢٦) إلا أنه لم يقطع بحكم تجاه أحد القولين ، وإنما طرح مشورة على عقل العزيز يعلمه فيها طريق الوصول الى الحقيقة وترك له مساحة واسعة للوصول اليها ، ومعرفة ما جرى خلف الباب من أحداث إذ قال الشاهد: (...إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ) (يوسف٢٦-٢٧) فجعل متعلق الحق والحقيقة هو معرفة طبيعة مظهر أحد المتخاصمين (يوسف) الذي يمثل محور الاتهام ، فقد اعطى العزيز علامة واضحة قطعية في معرفة الجاني منهما .

فكان هذا التقابل بين قد القميص من قبل وقده من دبر بمثابة عرض مصغر لمفاصل الاحداث للقصة القصيرة التي دارت أحداثها بعيدا عن أنظار العزيز خلف تلك الابواب المغلقة .

فإن القد من القبل يعني أن الاحداث هذه كانت بيد تدبير من يوسف أما القد من الدبر فهذا يعني أن قطب الرحى في هذه الاحداث هي زوجة العزيز ، وعلى هذا الاساس يمكن تصور طبيعة الاحداث والاقوال ، والمواقف التي اشتملت عليها تلك القصة السريعة ، وهذا ما توصل إليه العزيز إذ قال:((فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ))(يوسف٢٨)) واللطيف في أسلوب الاستدلال هذا أنه حاكا الرأيين المتصارعين في ذهن العزيز عندما وقف على الباب ، وعبر عن حالة الصراع الذهني والنفسي التي مرت على العزيز وهو يطلب فهما واضحا لما بانت بوادره من أحداث يجهل تفاصيلها .(٤٦)

٣. قالت هيت لك .. قال معاذ الله

في هذا النموذج من المقابلة نجد تقابلا معنويا وجهتين من التفكير والتخطيط ،في قوله (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) (يوسف ٢٣) فلم يذكرها ولم يذكر نفسه ، ولم يتكلم عن نفسه ، ولم يقدم وجهة نظر منه في الموضوع ولم نجد لنفسه اي أثر او وجود ، اما هي فقد قالت هيت لك أي هيأت نفسي لك فكانت تلحظ نفسها والمكان الذي هي فيه ،ومن ثم تلحظ وجود يوسف امامها فكان هذا التقابل ليس في المعنى فقط وليس في المعاني الاولية فحسب وانما كان تقابلا بين عالمين مختلفين في رتبة الوجود هما عالم الطبيعة والمادة المنغمس في بحور الشهوات وعالم العقل الذي يعج بأنوار القرب الالهي .(٤٧)

المبحث الثالث: التقابل النصي :

يجد المتتبع لكتب البلاغة العربية أن معظم من تناول التقابل أشار الى انه يقع في سياق تركيبي متقارب ولا نجد احدا من القدامي من يشير الى امكان وقوع التقابل وقد فصل بين المتقابلين سياقات اخرى اي ان يقع التقابل على مستوى النص لا على مستوى التركيب الا ان بعض المحدثين اشار الى هذا النمط من التقابل بين رموز النص والتي تمثيل تداعيا لحركة ذاتية في سياقات النص وتتجاذب اليها المعاني المتقابلة التي تستلزمها المواقف المتباينة وهذا ما اطلقنا عليه اسم التقابل النصي .وقد جاءت في هذه السورة المباركة نماذج عدة لهذا التقابل قسمناها على ثلاثة اقسام :

١التقابل المكاني ٢_التقابل الافعالي ٣_التقابل الرمزي

١_التقابل المكاني :

لقد حكمت نص السورة (القصة) في بنائه متوالية من التقابل المكاني ، مثل كل واحد منها ببيئة مختلفة عما قبله وما بعده بل يمثل ضدا لما قبل وما بعده ، وهذه المتواليات هي (بيت الاب / البئر/بيت العزيز/ قصر الملك) ، فقد كانت هذه البيئات المختلفة مسرحاً لهذه القصة ، وقد تنوعت الاحداث بسبب تنوعها ، بل اختلفت أدوار البطل فيها بحسب البيئة التي يمر فيها ؛(٤٨) ولهذا سنعقد عنوانا لكل متوالية من هذه المتقابلات المكانية .

١. بيت الاب . البئر :

يلاحظ القارئ لقصة النبي يوسف ع انها تبدأ مع شخص البطل لترسم للمتلقي طبيعة المكان الذي يعيش فيه وهو بيت الاسرة التي ينتمي لها، إذ يبدأ الحوار الذي هو عماد القصة بين الاب والبطل ، ومن هذا الخطاب يمكن ان نتلمس طبيعة العلاقة بين يوسف وابيه والحظوة التي حصل عليها بين اسرته ، والمكانة المحببة التي توصل اليها ، ثم تفاعل الاسرة بشخصية هذا الولد الصغير.(٤٩)

فقد قالت القصة (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ...)(يوسف٤). ((فلم يذكر يعقوب ع باسمه بل كنى عنه بالأب للدلالة على ما بينهما من صفة الرحمة والرأفة والشفقة)) (٥٠) .

ثم في جواب الاب أيضا نجد شخصية الاب الناصح المتفائل الحريص على ولده المميز حتى من باقي اولاده (٥١) مع تفاؤله بهذا الولد الصغير ، فقد قال: ((قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ *وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (يوسف٥_٦)

وهذا التفاضل الذي شعر به اخوة يوسف لم يكن مجرد هاجس حسد من عند أنفسهم وإنما هو يحكي واقع حال كان يعرفه القاصي والداني فقد تميز يوسف في كل شيء عن الجميع.

وسرعان ما تقودنا أحداث القصة من هذه البيئة الهانئة الهادئة بالنسبة ليوسف إلى بيئة جديدة مختلفة تماما عن سابقتها مثل هذه البيئة (البئر) الذي القي فيه يوسف من قبل اخوته فشكل هذا المكان الجديد تقابلا تاما للمكان السابق فقد اختلفت اوضاع البطل النفسية والاجتماعية والمادية وهذا سبب تغييرا واضحا في سياق الخطاب فقد تحول يوسف بهذه الحدث السريع من الطفل المحبوب الحالم الى الطفل المعزول المرفوض فتبدل حال الدلال والحياة التي كان ينعم بها الى حال من الفقر المحض ، فقد انقطع عن في البئر عن سبل العيش والتواصل الاجتماعي ، وفقد كل اعتبارت المكان والرتبة التي كان ينعم بها.

ومن اللطيف تغير نمط التفكير لذلك ، فقد تحول في مرجعية التفكير من مرجعية الاب إلى مرجعية الرب الذي انقطع اليه بعد ان انقطعت به السبل دونه إذ نجده في اول القصة يلجا إلى ابيه حتى في تفسير حلمه الذي يراه وهذا يدل على انه يعتمد على مرجعية الاب في كل شؤونه ، أما في البئر وبعد انقطاعه عن مرجعيته فلم يبقى عنده من يلجأ إليه غير الخالق سبحانه ، فقد كان الحاضر الناضر معه وهذا ما عبرت عنه الآية(...وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ*وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) (يوسف١٥-١٦)

وهذا ما يوحي أن انقطاع يوسف عن عالمه ومرجعيته كان بداية تواصله مع الحق والوحي الالهي ، فقد عطف سياق الآية بحرف العطف الواو بين جملة (الجعل في الجب) وجملة (اوحينا اليه) وهذا ما يجعل هذين الفعلين متلازمين ، وهذا ما جعل في ذهن القارئ (المتلقي)تصور عن النضج السريع في شخصية البطل الذي واكب النضج السريع من الاحداث (٥٢)

البئر ـ بيت العزيز

ثم تسير الاحداث بنفس السرعة التي سارت بها في التغيير الاول من المتوالية المكانية الاولى ، إذ نجد البطل يباع الى بيت من افخم بيوت مصر، ويحظى بالعز والكرم من اهل ذلك البيت فقد عبّت الآية (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ ...)(يوسف٢١)

فتعاظم شانه واشتد عوده وبلغ من المنزلة الاجتماعية منزلا عظيما وصفه سياق الآية بقوله: (وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ...) (يوسف٢١).

فقد كان محبوبا مقبولا عند مجتمعه ، إلا ان هذا السياق لم يغفل بيان المرجعية التي اعتمدها يوسف فقد قالت الآية (مكنا) ولم تكن هناك مرجعية اخرى تتدخل بشؤون يوسف وهذا إلماح الى اعتماده شخصيا على هذهالمرجعية.(٥٣)

بيت العزيز ـ السجن

ومع انفتاحه على هذا الفضاء الواسع (بيت العزيز)وتمثله بشخصية أرباب السلطة والشأن وتقريب من قبل العزيز واندفاع الاحداث من صالحه إلا أنها سرعان ما تعود ثانيا لتكسر افق توقع المتلقي ، (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...)(يوسف٢٣). فامتنع واعتصم ما سبب دخوله بيئة أخرى جديدة تختلف تماما عن كل ما تقدم من نماذج البيئة ، فقد كان السجن مكانا محدودا ، يعيش فيه اشخاص أقل بكثير مما كان عليه الوضع في القصر ، ثم إن هؤلاء السجناء كانوا من طبقة واحدة ، فهم جميعا من المرفوضين مجتمعيا وهذا ما كان يحوم حول يوسف من شعور بعد أن كان مقبولا مجتمعيا في بيت العزيز منعما مكرما تحول الى شخص منبوذ مسجون يعيش ضمن طبقة المرفوضين مجتمعيا في مكان قفر لا يتصل بالعالم وقد فقد تلك السلطة والمكنة التي وهبها له الحق سبحانه في بيت العزيز إلا انه مع ذلك كله كان مستسلما لهذا القضاء الذي نزل به صح والارشاد لهؤلاء السجناء فتمثل بهذه الشخصية خير تمثيل. فقد عبّر (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)

(يوسف.٣٣) ووجد نفسه امام وظيفة جديدة هي النصح والارشاد لهؤلاء السجناء فتمثل بهذه الشخصية خير تمثيل(٥٤).

السجن ـ قصر الملك

وتسير أحداث القصة في بيئة السجن وتتكامل فيها شخصية البطل كونه مصلحا و واعضا وصانعا لمجتمع صالح على الرغم من صغره وتركيبته المعقدة المتكونة من مجموعة السجناء ثم ما تلبث ان تتحرك باتجاه معاكس فقد انتقل من غيابة السجن الى اقرب رتبة من الملك اذ قالت الآية (استخلصه لنفسي) ثم وضحت المكانة التي حصل عليها ، وانبساط اليد في الحكم الذي مكنه الله منه إذ قالت الآية (انك لدينا مكين امين) ثم عرجت الآية على بيان لتسديد الالهي ليوسف اذ قالت:(وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ....)(يوسف٥٦). (٥٥)

وقد وضحت الآية الشخصية التي تمثل بها يوسف في هذا الفضاء الجديد من أحداث القصة .

ومن الملاحظ على هذا التنوع في المكان ما يأتي :

١. إن المكان في القصة تناوب على التوالي بين الانخفاض التام والارتفاع التام ، فمن بيت الاب الذي كان قد علا فيه نجم يوسف وسطع انتقلت القصة الى البئر الذي هو منخفض من الارض يغيب من ينزل فيه عن كل أسباب الاتصال بالعالم الخارجي ، ثم إلى قصر العزيز الذي تقصده الناس في كل حوائجهم فضلا عن كل دوران الاحداث حوله وفيه ، ومن ثم إلى سجن منقطع عن العالم ثانياً إلا أن فيه مجتمع صغير تتحرك فيه الاحداث ببطء شديد ومنه إلى قصر الملك واعتلاء يوسف عرش العظمة والحكم .

٢. إن هذا التوالي بين المتقابلات المكانية نوع الاحداث والاشخاص من حول يوسف ومن ثم تنوع الشخصيات التي تمثل بها وهذا ما ينوع الاقا سياقات النصية .

إن الانفتاح في افق المكان وانغلاقه سبب انفتاحا وانغلاقا متواليين في نصه . ففي البئر يتوقف ذهن المتلقي عن تصور الاحداث المستقبلية ، أما في بيت العزيز فالفضاء مفتوح أمام المتلقي ليسرح ذهنه في تصور المكان والاحداث والاشخاص والاقوال وغير ذلك من المتغيرات .

وهكذا في السجن نجد الاحداث تجمد عما كانت عليه في بيت العزيز ثم تعود لتتحرك وتُحرك ذهن المتلقي الى فضاء غير منقطع من الخيال لتصور مسرد الاحداث (٥٦)

٣ . اختلاف المرجعيات في كل بيئة ، ففي بيئة بيت الاب كان الاب هو المرجع في تسير الاحداث ، أما في البئر فقد انقطع يوسف عن كل مرجعية بشرية ، وعاد الامر في بيت العزيز الى مرجعية بشرية في تحريك الاحداث من

حوله تمثلت بالذي اشتراه مع زوجته ، فقد كان عماد تحريك الاحداث من حوله ، وفي السجن انقطع ثانيا عن المرجعيات البشرية وكثر اعتماد الاحداث المرجعية الالهية والصبغة الربانية في تحريك الاحداث ، واخيرا في قصر الملك كان الملك هو من يحرك الاحداث. (٥٧)

وهذا التوالي في تنوع المرجعيات ذوب عند البطل اعتماد المرجعيات البشرية وصرفه عن اعتماد المرجعية الدائمة الربانية .

٤. إن التوالي لم يقتصر على النوع فقط بل كان في السعة والضيق على التوالي ، مع أن هذه السعة والضيق كان أمراً نسبياً.

٢. التقابل الافعالي النصي:

ابيضت عيناه ـ فارتد بصيرا

لقد قابل السورة المباركة بين وصفين من أوصاف البصر والابصار كان الاول في السلب فقد دل على زوال البصر في قوله : (وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (يوسف٨٤) ، وهو كناية عن فقدان البصر ، والاخر في الايجاب ، وهو قوله تعالى : (فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...)(يوسف٩٦) ، وهو أيضا كناية عن العافية والابصار ، وقد مثل انطفاء البصر في عين الاب بؤرة تعقد الاحداث وتشابكها يمثل اغلاق ذهن المتلقي عن تصور اللاحق من الاحداث.(٥٨)

وقد قابلها في المعنى عبارة ارتد بصيرا ، إذ انها مثّلت بداية عودة الامل ، وترابط الخيوط أمام المتلقي وانكشاف الستار أمامه عن كثير من الاحداث التي مرت واستشرافه لما سيكون منها.

جـ . التقابل الرمزي:

. قميص الجريمة ـ قميص النبوة

لقد تحملت السور المباركة تقابلات رمزية سيرت حركة النص وجهت دلالاته ، ومن ابرز تلك الموز (القميص) الذي حرك النص باتجاهات منوعة فمرة يظهر لنا القميص في حدث جريمة .

واخرى يبرز سببا في معجزة رد البصر.(٥٩)

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المتواضعة في موضوع التقابل الدلالي على سورة يوسف المباركة يمكننا ان نشخص النقاط الاتية نتائج لهذا البحث:

١. إن التقابل من المعطيات المهمة التي يمكن ان تعتمد في فهم القرآن الكريم وتفسيره ، سواء إذا كان هذا التقابل على مستوى الجملة أم على مستوى النص كاملا ، وهذا ما وجد في بواكير تفاسير القرآن الكريم ، إلا أننا وجدنا أن تعميم هذه الظاهرة على النص سيحل رموزا كثيرة من رموز القرآن الكريم .

٢. إن التقابل في سياق القران الكريم بصورة عامة وهذه السورة المباركة بصورة خاصة خرج عن الاستعمال التقليدي لما عرف عن لغة العرب فقد جاء التقابل في مظهرين الاول السياق المتقارب على مستوى الجملة والثاني الذي جاء فيه على مستوى النص .

٣. إن التقابل الدلالي على مستوى النص بكامله يولد تماسكا في مفاصله لا يقاربها بحال التماسك الذي يكون على مستوى الجملة .

٤ حمل الترميز الذي تضمنته السورة في نماذج التقابل الوانا من البناء الداخلي للجملة والمنفتح على دلالات متنوعة يحيل عليها ذلك الترميز فيشكل فضاء مفتوحا للفهم القرآني يمتد عبر أجيال من النظريات اللغوية التي تحاول أن تقع على فهم مناسب لعباراته.

٥. لقد نتج من دراسة التقابل هذه السورة الخروج بآراء ممكنة مقبولة في فهم بعض عبارات السورة لم نجد لها مثيل في ما رجعنا له من كتب التفاسير من ذلك في تحديد المتكلم في قوله تعالى (اقتلوا يوسف...)، وغيره مما تناوله البحث في درج عمله.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين وعلى آله الطاهرين .

الهوامش:

(١)النوادر في اللغة ، أبو زيد الأنصاري: ٥٦٩. ٥٧٠

(٢)المفردات ، الراغب الاصفهاني : ٣٩٢

(٣) .لسان العرب ، أبن منظور : ٥٤/١٤

(٤) لسان العرب :٥٧/١٤(مادة قبل)

(٥) لسان العرب : ٣٣٩/١٧(وزن)

(٦) الكتاب ، سيبويه : ١/ ٢٤

(٧)الأضداد ، الأنباري : ٦

(٨)الاضداد في كلام العرب ، أبو الطيب اللغوي : ١

(٩) المزهر ، السيوطي: ١/ ٣٨٨

(١٠)ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي: ٤٨

(١١)المفردات: ١٩٥ (رسل)

(١٢) المفردات :١٥٥(خلف)

(١٣) المفردات :١٦٦ (دخل)

(١٤)المفردات: ١٦٤(دبر).

(١٥) التبيان ، الطوسي: ١/١٠٠-١٠١

(١٦) التبيان ، الطوسي: ٤ / ٣٧٢ . ٣٧٣

(١٧) ينظر : التقابل الدلالي في القران الكريم ، د . منال صلاح الدين عزيز:١٧

(١٨) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق: ١٤/٢

(١٩)ينظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي : ٣/ ٤٥٩

(٢٠) ينظر : الطراز ، العلوي ٢/ ٣٨٣ ، وينظر: المثل السائر، ابن الاثير: ٢٧٩/٢

(٢١) ينظر الصناعتين ، العسكري :٣٠٧

(٢٢) ينظر: سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي : ٤٦٦ وينظر الايضاح القزويني : ٣٣٤

(٢٣)ينظر : الايضاح ، القزويني: ٣٤٢.٣٤١

(٢٤) المثل السائر:٢٧٨/٢

(٢٥) الطراز :٣٨٤/٢

(٢٦) لسان العرب: ١٢/ ٧٨ (طبق)

(٢٧) ينظر: سر الفصاحة: ٢٣٠

(٢٨) ينظر : التقابل الدلالي في القران الكريم : ٣٢

(٢٩) ينظر: التقابل الدلالي في القران الكريم: ٣٣

(٣٠) التعريفات:١٦٢-١٦٣

(٣١)ينظر : المنطق ، المظفر: ٤٥-٤٧

(٣٢) ينظر : التقابل الدلالي في القران الكريم: ٢٩

(٣٣)التقابل الجمالي:٨١

(٣٤) ينظر: الفروق في اللغة ، العسكري: ٣٤/١

(٣٥) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ٢٢٥/٢

(٣٦)ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الشنقيطي: ٣/٨

(٣٧)ينظر : التفسير الكبير، الرازي :٨/ ٧٢ . وينظر: الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٦/ ٢٢٢

(٣٨) ينظر: الميزان: ١٨٩/١١ ، وينظر: الامثل :٣٠٢/٦

(٣٩) ينظر: الميزان : ١١/ ١٩٠.١٨٩ ، وينظر: الامثل : ٣٠٢/٦

(٤٠) ينظر: الميزان:١٩٣/١١ ، وينظر: الامثل : ٦/ ٣٠٢

(٤١) ينظر: الامثل :٣٠٠/٦

(٤٢)الميزان: ١٩٣/١١

(٤٣)ينظر: الامثل : ٦/ ٣٠٢

(٤٤) ينظر : الامثل : ٦/ ٢٣١

(٤٥) ينظر : الفروق في اللغة : ٢٩٤/١

(٤٦) ينظر : الميزان :١١/ ١٤٥ ، ينظر : الامثل: ٢٧٦/٦

(٤٧) ينظر: الميزان:١٢٥/١١. ١٢٦ ، وينظر: جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف دعويض بن حمود العطوي: ٢٦

(٤٨)ينظر : الدلالة الاعجازية في رحاب سورة يوسف ، د. عمر محمد : ٢٤

(٤٩)ينظر: الدلالة الاعجازية :٢٧

(٥٠) الميزان:٧٩/١١

(٥١) ينظر: البرهان في تفسير القران ، هاشم البحراني : ٤/ ١٦٤-١٦٥ ، وينظر: الامثل :٢٢٨/٦

(٥٢) ينظر: التفسير الكبير: ٨/ ٧٣ ، وينظر: الميزان : ٧٩/١١

(٥٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨٢/٨ . وينظر: الميزان :١٠٢/١١. وينظر: الامثل :٦/ ٢٤٦

(٥٤) ينظر: التفسير الكبير:٨/ ٩١ . وينظر: الميزان : ١١٢/١١. ١١٣

(٥٥)ينظر:التفسير الكبي: ٨/ ١٠٩-١١٠ .وينظر: الميزان: ١٥٤/١١.١٥٥ .وينظر : الامثل : ٦/ ٢٨٤

(٥٦) وينظر: التفسير الكبير :٨/ ١٣٤ . وينظر: الميزان : ٢٠٣/١١.٢٠٤. وينظر: الامثل : ٦/ ٣١٢

(٥٧)ينظر: تفسير القران ، هاشم البحراني:٤ /١٦٦

(٥٨)ينظر: صوافي الصافي ، يعقوب بن ابراهيم البختياري:٢٨٥/٢-٢٨٦

(٥٩) ينظر: التفسير الكبير :١٦١/٨ ،١٧٣. وينظر: البرهان في تفسير القران ، هاشم البحراني : ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣ وينظر : الميزان: ٢٣٥/١١ ،٢٤٧ ، وينظر: الامثل : ٦/ ٣٤٩،٣٥٥ .

المصادر والمراجع

– الاضداد ،الانباري محمد بن القاسم بن محمد(٣٢٨هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٧م .

– الاضداد في كلام العرب ، ابو الطيب اللغوي ، تحقيق د. عزة حسن دمشق مطبوعات المجمع العلمي ١٩٦٣م.

– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الشنقيطي ، دار الفكر بيروت ١٩٩٥م .

– الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٧م ط١.

– الايضاح، القزويني ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٨م ط١ .

– البرهان في تفسير القران ، هاشم البحراني :مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٦م ط٢ .

– البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ط١.

– التبيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قيصر العاملي ،مطبعة ذوي القربى ، قم المقدسة ، ١٤٣١ ط١.

– التفسير الكبير ، الرازي ، دار الفكر ، بيروت٢٠٠٥م ط١ .

– التقابل الجمالي ، د. حسين جمعة ، دار النمير ، دمشق ، ٢٠٠٥ م ط١.

– التقابل الدلالي في القران الكريم ، د . منال صلاح الدين عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ٢٠١٣م ط١

جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف دعويض بن حمود العطوي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ٢٠١٠م .

– الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت ، ١٤١٨هـ ط١ .

– الدلالة الاعجازية في رحاب سورة يوسف ، د. عمر محمد ، دار المأمون ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٧٧م ط١.

– سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، مكتبة محمد علي صبيح ، مصر، ١٩٦٩م .

– الصناعتين ، العسكري ، تحقيق علي محمد البجاري (واخرون) م دار احياء الكتب العربية، سوريا، ١٩٥٢م ط١.

– صوافي الصافي ، يعقوب بن ابراهيم البختياري ، مجمع الذخائر الاسلامية ، قم ، ٢٠١٤م ط١.

– ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية ١٩٨٩م .

– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٦٤م ط٣

– الكتاب ، سيبويه ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٨٨م ط٣

– كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ٢٠٠٣م ط١

– لسان العرب ،أبن منظور ،الدار المصرية للتأليف والنشر ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، القاهرة د ت

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أبو الفتح ضياء الدين بن محمد عبد الكريم بن الاثير ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٩م

– المزهر في علوم اللغة وانواعها ، السيوطي ، شرحه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة (د ت).

– الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : لجنة إحياء التراث الاسلامي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١م ط٥

– المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، ضبط : هيثم طعيمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،٢٠٠٨م ط١.

– المنطق ، المظفر، مؤسسة الامام المنتظر ، قم ، ١٩٦٤م ط١.

– النوادر في اللغة ، أبو زيد الأنصاري ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠١هـ ط١